

منشأ عقيدة الزيدية وتطورها

للأستاذ سعيد الديوه جي

كانت الخلافة من أهم الأمور التي فرقت صفوف العرب والمسلمين ، ذلك لأن الخليفة هو الذي يتولى أمور المسلمين الدينية والدينية . وهذا مقام رفيع دونه كل مقام في الإسلام يطمع فيه القوي . وقد تطاحت الأسماء القرشية في سبيلها منذ صدر الإسلام . وحاول كل حزب أن يجعل له صبغة دينية يقوى مركزه بها بين الأحزاب المعارضة ، فظهر في الإسلام فرق وطوائف عديدة كان الكثير منها دعوة دينية ولكنها تسير تحت ستار من الدين . وبعد القضاء على الحركة تبقى صبغتها الدينية بين أتباعها وتستحيل إلى مذهب ديني . وعلى مر الدهور يتطور هذا المذهب ويدخله الأساطير والتعاليم الشاذة . وربما استحال إلى دعوة هدامة أو مذهب مثال أو فرقة باطنية منفصلة عن الإسلام . والمتتبع لتاريخ الإسلام يرى الكثير من هذا . فحركات الخوارج ، وحركة المختار الثقفي ، والقرامطة ، والفاطمية والدروز ، والنصيرية ، كلها نشأت وتطورت على هذا المنوال وأصل الزيدية فرقة إسلامية أموية سارت باسم الدين إلى مناصرة بني أمية في الخلافة والدفاع عنهم ونأوت « آل البيت » - أقوى حزب ناضل الأمويين - وعلى مر العصور تطورت إلى فرقة صوفية « عدوية » على يد رجل أموي ، وفرقة مغالية في حب « يزيد بن معاوية » ، وفرقة خارجة عن الإسلام . كل ذلك كان في سبيل الخلافة وإرجاعها إلى بني أمية بعد سقوط دولتهم في الشرق

إن أقوى نزاع شهده العالم الإسلامي على الخلافة هو النزاع بين العلويين والأمويين . ذلك لأن المداورة بين بني أمية وبني هاشم قديمة . ففي الجاهلية تنازعوا على زعامة مكة . وفي الإسلام تجدد النزاع على الخلافة بعد مقتل « عثمان » فشق على الحزب الأموي أن يخرج الخلافة منهم بعد أن نالوها . خاصة وأن « الإمام علياً » عزل ولاية « عثمان » فهل يرضى « معاوية » أن يترك « الشام » وما فيها من جنات وعميون وكنوز ومقام

كريم بعد أن حكمها عشرين عاماً ؟ أنكر بيعة « علي » ودعا لنفسه واستعمل دهاءه وكرمه في جلب دهاة العرب إليه فقوى أمره ، وبعد مقتل الإمام « علي » تنازل « الحسن » عن الخلافة وصار الحزب الأموي هو الحاكم المطلق في الدولة

ولم يكن « معاوية » بالخليفة المستضعف ، بل ساس الناس بحلمه وجوده . فمفا عن المذنب وتجارز عن المسي وأعدق عطايه على كل قاصد ، كما سل سيفه على من لم تنفع معه هذه الطرق ، فانقاد له الناس راغبين أو راهبين

وبعد وفاة معاوية تولى ابنه « يزيد » على كره من أولاد الصحابة فنارت الأحزاب المعارضة ، وأشدها الحزب العلوي فكانت فاجعة « كربلاء » التي أوجبت الأحقاد واستمرت الثورات العلوية حتى انقراض الدولة الأموية وكانت هذه الثورات من أهم العوامل التي قوضت أركان الدولة

وبعد سقوط الدولة الأموية أنمكست الآية فانتقم العباسيون من الأمويين شر انتقام ، حتى الأموات فأنهم لم يخلصوا من التمثيل بهم . وصار الحزب الأموي هو المستضعف في البلاد . وأخذ الأمويون بلجأون إلى الجبال والأماكن النائية عن النفوذ العباسي . ولكنهم لم يعدموا الأ نصار ، كما أنهم لم يياسوا من الخلافة ، بل أحيوا النعرة الدينية التي كانت لحزبهم وأخذوا يزيدون عليها . ويزاهم قد قلدوا العلويين أو من قام باسمهم في ادعاءهم هذه . وهذه النعرة الدينية لحزبهم كانت منذ أول عهدهم بالخلافة تسير أثر الدعوة العلوية ؛ ولكن الأمويين خلال حكمهم لم يهتموا بها لاعتقادهم على بطشهم ونفوذهم . وأما بعد سقوط دولتهم فأنهم صاروا مستضعفين في الأرض فتدعوا بالدين ليستروا تحت دعوتهم للدنيا . وهذا أول ظهور الطائفة الزيدية .

ومن الأدلة التي تثبت أن أصل العقيدة الزيدية هي حركة أموية مضادة لآل البيت :

١ - يوم عاشوراء : في هذا اليوم قتل « الحسين » عليه السلام فهو يوم كرب وبلاء على العلويين يظهرون فيه من العزاء والنياحة والحزن على ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما لا نشاهد مثله في غيره من الأيام . ونجد الضد من هذا عند الأمويين ، فإن الحجاج سن لأهل « الشام » أن يتخذوا هذا

ألوهيته . وكذا الأمر في « يزيد » فإن مناصريه ادعوا أنه كان إماماً عادلاً هادياً مهدياً ، وأنه كان من الصحابة بل من أكابر الصحابة ، وأنه كان من أولياء الله تعالى ، ثم اعتقدوا أنه كان من الأنبياء وقالوا « من وقف في يزيد وقفه الله على نار جهنم » ، ثم ذهبوا إلى أعظم من هذا فقالوا بألوهيته . وهذا ما يعتقدوه الزيدية أن « يزيد بن معاوية » هو إلههم . ونجد قري « الشبك » والتركان ، والصارلية ، والجيجية حول الموصل ، واليابوت في قضاء سنجار ، وهم الذين ينالون في « الإمام علي » على مقربة من مواطن الزيدية الذين يؤلهون « يزيد بن معاوية »

٤ - الأمن : بعد أن خدع « عمرو بن العاص » « أبا موسى الأشعري » في مؤتمر « اذرح » صار « الإمام علي » يلين معاوية وعمراً ومن الالهة بعد كل صلاة ، وقابله معاوية بالمثل . وبعد مقتل « الإمام علي » استمر الأمويون يلعنون أبا تراب بعد خطبة صلاة الجمعة . ولما تولى « عمر بن عبد العزيز » الخلافة رفع هذه السنة السيئة ورضع مكانها « إن الله يأمر بالعدل والإحسان ... الآية » ، ولكن بعض أنصار الحزب الأموي المغالين لم يفتوا عن هذا . فأهل « حران » امتنعوا عن الصلاة وقالوا : « لا صلاة إلا بلعن أبي تراب » واستمروا على ذلك ، حتى ظهور الدعوة العباسية . وكان العلويون يقابلون هذا اللعن بأكثر منه ، وزادوا فيه بعد واقعة « كربلاء » ، وصار اللعن بوجه بصورة خاصة إلى « يزيد » . أما الشيخ « عدي » فإنه لما رأى تفاقم الأمر عند الفريقين ، وأن هذا مناف للتعاليم الإسلامية ، وأن من الصعب أن يكف أحد الحزبين عن لعن الآخر ، حرم اللعن مطلقاً . ولكن الفكرة تطورت إلى أبعد من هذا عند الزيدية ، فإنهم حرموا اللعن حتى على الشيطان . ومع أن اللعن صار من المحرمات عندهم ؛ فإن يزيدية (جبل مقلوب) استمروا على الطعن في علي وأولاده في أيام الجمعة والميدين ، كما كانت عليه العادة في الدولة الأموية . وكان فيهم فرقة متعالية جداً في اللعن تقف مصلثة السيوف وتلعن « علياً » وأولاده ، ويقال لهم « السيفاء » واستمر الأمر على ذلك إلى القرن الحادي

عشر الهجري

(الحديث ص ٤)

سعيد السمره
بالموصل

اليوم يوم سرور يوسعون فيه على عيالهم وينبسطون في الطعام ويصنعون الحلوى ، ويتخذون الأواني الجديدة ، ويكتحلون ويدخلون الحمام ليرغموا بذلك شيعة « علي بن أبي طالب » كرم الله وجهه . واستمر الأمر على ذلك عند الحزب الأموي بعد سقوط دولتهم ، وهذا ما نراه عند الزيدية فإنهم يتخذون هذا اليوم يوم سرور يخرجون زينتهم إلى ظاهر قراهم ويرقصون رقصاتهم الشعبية على ضرب الطبول وتقر الدفوف ، وعرجون ويلعبون ؛ ويصورون تماثيل من الطين لشهداء كربلاء يهجمون عليها برماحهم ويفتكون بها ويطؤونها بنحيتهم . كل ذلك لأن إلههم « يزيد » ظفر بدمه « الحسين » في هذا اليوم وقتله .

٢ - المهدي المنتظر والسفياني المنتظر : يعتقد الشيعة أن المهدي المنتظر سيظهر في آخر الزمان وسيملاً الدنيا عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً . وادعى الأمويون مقابل هذا : أنه سيظهر من أولاد أبي سفيان من يكون أمره كأم « المهدي المنتظر » وهو « السفياني المنتظر » . وزاد تعلق الأمويين بهذا الادعاء بعد سقوط دولتهم فصاروا يترقبون ظهوره . وقد ذكر « السعدي » أنه وجد ببلاد « طبرية » من بلاد الأردن في سنة ٣٢٤ هـ أحد علمائهم وقد ألف كتاباً بهذا وأنه ذكر فيه « من ظهور أمرهم ورجوع دولتهم وظهور السفياني في الوادي اليابس من أرض الشام ، وإنهم أصحاب الخيل الشهب والرايات الصفر وما يكون لهم من إلقاع والحروب والغارات والزخوف الخ ... » وهذا ما نجده عند الزيدية ، فإنهم يعتقدون أن « عدياً » وهو رجل أموي سيظهر في آخر الزمان وسيكون أمره كما تقدم ، ويسميه بعضهم بالمهدي . وعندهم طبقة دينية يسمون « خدام المهدي »

٣ - يذهب الحزب العلوي أن « علياً » وأولاده أحق بالخلافة وأن الحسين قتل مظلوماً . وبالضد من هذا يدعي الأمويون أنهم أحق بالخلافة وأن الحسين قتل بسيف الحق لأنه خرج على الإمام المبايع . وأخذ كل فريق بعز مدعاه وبقائه في تنظيم الذي يدعو إليه ، ويحاول أن يفتن من قيمة الحزب المعارض . وما زال هذا الأمر والمغالاة تزداد عند الفريقين حتى أدى إلى أن تعتقد بعض الفروع المغالبة أن علياً أحق بالنبوة من عهد ، وأن البعض الآخر ذهب إلى أعظم من هذا ، فادعى